

بر الوالدين وعقوقهما في حضارة العراق القديم

م.م سناء عويد كاظم

جامعة واسط / كلية التربية

ملخص البحث

يعنى هذا البحث بدراسة موضوع بر الوالدين وعقوقهما في الاسرة العراقية القديمة من خلال النصوص الادبية والقانونية والاقتصادية حيث حرص العراقيون القدامى على الاهتمام بتنشئة وتربية ابنائهم منذ سن مبكرة على المبادئ والقيم المثلى والاخلاق الحسنة كما كان يتوجب على الابناء واجبات وحقوق اتجاه ابائهم وذلك باحترامهم وطاعتهم ومساعدتهم في اعمالهم والقيام بالمراسيم الجنائزية بعد وفاتهم وقد اهتمت الشرائع العراقية القديمة بالاسرة العراقية ونظمت الضوابط والقواعد لأشكال العلاقة بين الاباء وابنائهم وقد حث الادب العراقي القديم الابناء على بر ابائهم وعُد ذلك من الفضائل الحميدة ونظر الى الابناء العاقين بازدراء وعد ذلك من الاعمال المشينة والمنبوذة في المجتمع آنذاك.

Abstract

The Honoring and Ingratitude of parents in the Anceint Iraqi Civilization

The research at studying the subject of the honoring and the Ingratitude of the parents in the anceint Iraqi families through the economical, legal and literay text .Ancient Iraqi were Overcareful to take care of upbrining and training their children from an early age on ideal principles and good values and manners, the children were bound by duties and rights towards their parents by respecting, obeying and helping them in their works and performing the funeral service when they die. The Iraqi ancient legislations took care of the Iraqi families and arranged the laws and rules of the relationship forms among parents and their children. The ancient Iraqi literatnre urged children to honor their parents and considered that of the good virtues and looked at ungrateful children with depreciation and considered that as one of the dirty and castoff works in the society that time .

المقدمة

تميزت الحياة الأسرية والاجتماعية في العراق القديم بأنها كانت مبنية على أسس متينة وراسخة استمدتها من العادات والتقاليد والقيم الأخلاقية التي عرف بها أفراد المجتمع العراقي القديم مثل الفضيلة ، وبر الوالدين ، والصدق ، وأداء الأمانة ، والاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة والمجتمع ومما يميزها أيضاً احترام الأبوين من قبل أبنائهم وتنفيذ رغباتهما وطاعة أوامرهما والتي كانت تعد بمثابة أوامر الهية مقدسة ولأهمية موضوع بر الوالدين وعقوقهما في حضارة العراق القديم فإن هذا البحث يهدف إلى تسليط الضوء على الاسرة العراقية بصورة عامة والعلاقة ما بين الاباء وأبنائهم بصورة خاصة وتبيان الحقوق والواجبات المترتبة عليهم وكيفية معاملة الابناء لابائهم في حياتهم او عند بلوغهم سن متقدمه من العمر وكذلك اثناء وفاتهم او بعدها من خلال تقديم المراسيم والطقوس الجنائزية كما تم توزيع موضوع البحث الى اربعة محاور رئيسية المحور الاول ركز على دراسة موضوع تربية الابناء واعدادهم منذ سن مبكرة حتى يكونوا افراد صالحين لأسرهم والمجتمع والمحور الثاني بين دراسة واجبات الابناء الدينية والاقتصادية اتجاه ابائهم اما المحور الثالث: تناول دراسة العلاقة بين الاباء وأبنائهم والحقوق والواجبات القانونية المفروضة على الاباء والابناء في ضوء الشرائع العراقية القديمة، والمحور الرابع دراسة موضوع بر الوالدين وعقوقهما في الأدب العراقي القديم في الأساطير والنصوص الأدبية والحكم والأمثال وقد اعتمد البحث على مجموعة من المصادر الخاصة بموضوع البحث ومنها الكتب التي تناولت دراسة الأسرة العراقية والأحوال الشخصية ، واعتمد كتاب نظام العائلة في العصر البابلي للدكتور رضا الهاشمي كونه

تناول موضوع العائلة العراقية بصورة مفصلة وكذلك كتاب الشرائع العراقية للدكتور فوزي رشيد كمصدر أساسي لاقتباس مواد القوانين التي تخص موضوع البحث .

أولاً - التربية ودورها في بر الوالدين ومقوتهما:

إنّ الاهتمام بتربية الأبناء بوصفهم ركيزة أساسية في بناء المجتمع ، وذلك لما للتربية من أهمية في بر الوالدين وطاعتها وإعداد جيل قوي يؤمن بالمبادئ والقيم الفاضلة التي كانت مترسخة في أفراد المجتمع العراقي القديم^(١)، وكان الآباء يحرصون على تعليم أبنائهم الفضائل الدينية والخلقية مثل مبادئ حسن المعاملة واللياقة والآداب كما تحثهم على التمسك بالكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية والإنسانية الحسنة^(٢).

لقد أدرك العراقيون القدامى أهمية التربية في سن مبكرة بالنسبة للأبناء لأن الطفل في هكذا مرحلة يسهل السيطرة على تصرفاته وتوجيهه بصورة صحيحة وسليمة أما إذا ما بلغ واشتد عوده فعندئذ يصعب قيادته وإخضاع تصرفاته وسلوكه ولا ينفذ بعد ذلك الندم ويوضح النص الآتي ما ذهبنا إليه "يأبني ، اخضع ابنك وهو بعد طفل قبل إن يفوتك قوة وشدة ، فيتمرد عليك وتخجل من كل أعمال السوء التي يعملها"^(٣)، ولحب الآباء وتعلقهم بأبنائهم والاهتمام بشؤونهم فقد حرصوا على متابعة كل صغيرة وكبيرة تخص أبنائهم "لن أكون رجل إذا لم أراقب ابني"^(٤) ، من خلال هذا المثل يتضح لنا أن الأب مارس دور الرقيب على أبنائه منذ نشأتهم الأولى وضبط تصرفاتهم وعدم تركهم أو إهمالهم حيث يؤدي هذا إلى نتائج سلبية على الأبناء خاصة وهم في مثل هذه المرحلة يكونوا بأمر الحاجة إلى الحنان والعطف من قبل أبويهم وحتى يصبح الابن ناضجاً باراً بوالديه وذا فائدة للمجتمع وكذلك يستطيع ان يتحمل المسؤولية في المستقبل ومن خصائص الأسرة العراقية القديمة هو العطف والحنان للأبوين وتضحياتهما من أجل أبنائهما والمخاطرة بأنفسهم من أجل ان لا يتعرض أبنائهم إلى مكروه أو سوء "البقرة تسير في المستنقع إلا أنها تترك العجل يسير فوق الأرض اليابسة"^(٥) ، وهذه الحكمة لها فعل مؤثر وتشبيه مجازي واضح إذ صورت الحنان في المحافظة على الوليد من الأذى والتهلكة وإبعاده من المستنقع إلى الأرض اليابسة وهذه التضحية ونكران الذات هي سمة الأبوين والحب الغريزي ما بين الآباء وأبنائهم^(٦)، ومن الأمثلة على تضحية الوالدين من أجل أبنائهم وتقديم مصلحة الأبناء على مصلحتهم الشخصية فقد جاء نص من العهد البابلي القديم يتحدث عن أرملة توفى زوجها وترك وراءه أطفالاً صغاراً إذ فضلت هذه الأرملة الاهتمام بمستقبل أولادها وتربيتهم تربية صحيحة والتضحية من أجلهم على الزواج مرة ثانية إذ جاء في نص "إن أرملة تدعى ummu- tabat ابنة Naba-bel- usar زوجة samas-uballit كاهن في معبد Samas الذي توفي تاركاً

أبنائه الصغار وهم Samaseti وArdi- har أقسمت الأم BEL- uballit كاهن معبد Sippar قائلة : لن أتزوج مرة أخرى ، سأعيش مع أبنائي ، وسأربي أبنائي حتى يبلغوا مبلغ الرجال"^(٧).

كما كان الآباء يحرصون على تربية أبنائهم تربية دينية صحيحة وحثهم على الصلاة والتسبيح للإلهة وإطاعتها بكل جوارحهم "على الإنسان أن يسبح بعظمة إلهه على الشاب ان يطيع بكل جوارحه أمر إلهه"^(٨). ونجد هذا واضحاً في صلاة للملك البابلي نابونائيد^(٩) (٥٥٥-٥٣٩ ق . م) موجهة لإله القمر طالبا منه أن يضع مخافته في قلب ابنه حتى لا يرتكب خطيئة ، أي أنه يرغب ان يكون ابنه متديناً يخاف الإلهة ويطيعها وبذلك يبتعد عن الخطيئة والذنوب وان يهبه هو وابنه الحياة المديدة جزاء لتقواهما وفضيلتهما إذ ذكر: "خلصني من الخطيئة ضد الإله الجليل وامنحني حياة طويلة وبالنسبة الى ولدي بل - سكار - اتسور (Bel-Skar) ولدي البكر الذي خرج من قلبي ،ضع مخافة الوهيتك

الجليلة في قلبه فلا يرتكب الخطيئة وليشبع من متع الدنيا"^(١٠).

وعندما يتجاوز الأبناء سن الطفولة يبدأ الوالدين بإعدادهم للحياة اذ كان الفقراء منهم يلجأون للعمل منذ الصغر ولم تكن الأسر الفقيرة قادرة على دفع تكاليف التعليم فيما يرسل المتمكنون منهم أبنائهم إلى المدارس في المعابد أو المدارس الخاصة لتعليمهم القراءة والكتابة والحساب^(١١)، اي إن التعليم كان يقتصر على فئة معينة دون غيرها^(١٢)، وكان لتعلم الكتابة أهمية كبيرة عند العراقيين القدماء خاصة وان اختراع الكتابة يعد من اهم المحصلات الحضارية الكبرى التي تم تحقيقها من قبل الإنسان العراقي القديم^(١٣)، "فن الكتابة أبو العلماء وأم الخطابة"^(١٤)، لذا فقد اوجبا على أبنائهم ضرورة إن يتقنوا القراءة والكتابة ويعرفوا كل شيء وفضلوا المتعلم على الجاهل " انك كاتب ولكنك لا تعرف حتى كتابة اسمك فيجب عليك ان تصفع وجهك بيدك "^(١٥).

ويتابع الأب سير تعليم ابنه ويفرح إذا ما أدى فروضه وواجباته المدرسية عند عودته إلى البيت "ذهبت إلى بيت الألواح...، قرأت لوحى أكلت غذائي، هينات لوحى (الجديد) كتبت (و) أكملته...، ولما صرف بيت الألواح ذهبت إلى البيت، دخلت بيت(ي)، كان ابي جالسا فيه...قرأت لوحى له وسر به"^(١٦)، وفي نص آخر يقوم الاب بنصيحة ابنه ويحذره عند ذهابه للمدرسة ان لا يتسكع بالشوارع أو الساحات العامة ولا يزيغ النظر هنا وهناك وعليه ان يحترم ويعظم معلمه حتى يستطيع في المقابل ان يحصل على احترام معلمه "انتبه، كن رجلا، ولا تقف في الميدان العام أو تتسكع في الشارع . واذا مشيت في الطريق لا تنظر هنا وهناك . كن متواضعا واطهر الخوف امام المشرف عليك. فاذا أظهرت الخوف فإن المشرف سيحبك"^(١٧)، ونلاحظ ان هذا الابن كان عاقا لاييه على الرغم من كل الاعمال التي قام بها من اجله وسبب له الحزن والتعاسة مما اوصله الى نقطة الهلاك حيث يذكر ذلك "لأن قلبي قد امتلأ بالمتاعب منك ، ابتعدت عنك، ولم أعر اهتماماً إلى مخاوفك وتذمرك . كنت حانقا عليك . نعم كنت حانقا عليك . ولأنك لا تنظر لإنسانيتك، اختطفت قلبي كما لو اختطفه ريح شريرة. وإن تذمرك وضع نهايتي ، لقد أوصلتني الى نقطة الهلاك"^(١٨).

ثانيا- واجبات الابناء تجاه اباؤهم:

١- الواجبات الدينية: من اهم الامور التي تمسك بها العراقيون القدماء ولها اهمية كبيرة بالنسبة لهم هي اطاعة الاوامر الالهية واقامة الطقوس وتقديم القرابين الدينية^(١٩)، وكانت سمة التدين واضحة عند العراقيين الاوائل ونلاحظ ذلك من النصوص والكتابات المسمارية والادبية والمخلفات الفنية الكثيرة التي وجدت في المناطق الاثرية المتعددة في العراق، لذا فقد حرص العراقيون ومنذ القدم على تربية ابنائهم تربية دينية صحيحة لرغبة الاباء بان يكون ابناءؤهم متدينون وعلى سلوك قويم وايضاً لإقامة المراسيم والطقوس الدينية لهم بعد مماتهم والذهاب الى العالم الاسفل وهي مراسيم دينية بالدرجة الاساس، التي كانت لها اهمية كبيرة عند سكان العراق القديم فكان دائما ما يحثون ابناءؤهم على اداء الصلاة والتضرع للالهة كل يوم ، لأنها تكثر الحسنات وتغفر الذنوب ونلاحظ ذلك بوضوح من خلال النص التالي:

"اعبد الهك كل يوم

صلي وابتهل له يوميا

وسوف يجازيك جزاء حسنا

فالتبجيل يكثر الحسنات

والصلاة تغفر الذنوب"^(٢٠).

ومن اهم الواجبات المتعين على الابناء القيام بها تجاه اباؤهم بعد الموت وذهابهم الى العالم الاسفل :

أ - اقامة مراسيم الدفن: كانت فلسفة الموت عند العراقيين القدامى تستند على ان الموت هو نهاية الانسان ولا يوجد مفر منه ،والالهة وحدها فقط تحضى بالخلود والبقاء^(٢١)، فبعد ان يبلغ الاب سن الشيخوخة يقوم بكتابة وصيته وتقسيم تركته

بين ابنائه واسرته ويهيئ المكان والقبر الذي سيدفن فيه حيث جاء في نص "ايامه ستطول ،انه سيدفن في الضريح الذي هيأه بنفسه"^(٢٢)، وكانت جثث الموتى تُلَف في الاكفان وحصران القصب وخوص النخيل^(٢٣)، وغالباً ما يتم الدفن تحت ارضيات المساكن او في المقابر الموجودة بالقرب من المدن والمعنين بإقامة المراسيم والطقوس الجنائزية للميت : هم ابناؤهم وزوجاتهم واخوتهم واقرباؤهم الموثوقون الصلة^(٢٤)، وبعد دفن جسد الميت فان روحه وسكينتها واستقرارها وعدم ازعاجها في العالم الاسفل تعتمد على بقاء الجسد مستقراً في موضعه وعدم نبشه وتحريك عظامه^(٢٥)، وخلال عملية الدفن يتم سكب الزيت والعطور على الميت في قبره حيث تستمر هذه الطقوس على ارواح الموتى مادام هناك للموتى ابناء^(٢٦)، كما ان اهل الميت يقومون اثناء مراسيم الدفن بوضع بعض الحاجيات معه والتي كان يجبها حيث يوجد نص من العصر الاشوري الحديث (٩١١ - ٦١٢ ق. م) يعود لاحد الملوك الاشوريين قام بمراسيم الدفن التي اقيمت عند موت ابيه الملك حيث يظهر مدى احترامه وحبه لابيه وحرصه على تنفيذ رغبته اذ يذكر:

"لقد مسحته بالزيت الملكي؛ ليستقر جيداً

في القبر، المكان الخفي

وفي المرج الملكي

جعلته يرقد بسلام

وختمت فتحته التابوت الحجري بالبرونز الصلب

وثبت رقيته الخاصة (ضد اللصوص ،والأرواح الشريرة)

وعرضت امام الإله شمس اواني

الذهب والفضة ، وكل مستلزمات القبر واوسمته الملكية

التي يجبها ،ثم وضعت كل مستلزمات القبر واوسمته الملكية

وقدمت القرابين الى الحكام السماوين"^(٢٧).

اما الذين لم تدفن اجسادهم ولم تنل معاملة مناسبة بعد موتها فعلى الرغم انها تنزل الى العالم الاسفل الا انها تبقى قلقة ومحملة بالحق على البشر الاحياء وتنتهز الفرصة للخروج الى عالم الاحياء بشكل اشباح وتلحق بالذى بهم وتسبب الامراض والكوارث والكوابيس انتقاماً لقدرها السيء^(٢٨)، ونلاحظ ذلك في ملحمة انكيديو وكلكامش والعالم السفلي:

"هل رايت الذي تركت جثته في العراء؟

نعم لقد رايت، ان روحه لاتجد مستقراً في العالم الاسفل"^(٢٩).

وفيما يخص الابناء ومدى تفاوت برهم لأبائهم او مدى عقوبهم لهم فهناك فرق واضح بين من قام بتخليد ذكرى ابيه وامه بعد مماتهم من خلال قيامه بالأعمال الدينية في اجراء المراسيم الجنائزية وطقوس الدفن وبين من اهمل جثة ابويه ولم يقيم لهم العزاء وطقوس الدفن وبقيت جثثهم مرمية على الارض من غير اهتمام مما جعلهم يواجهون مصير سيء ولا يجدون راحة في العالم الاسفل^(٣٠).

ب - إقامة مراسيم الحداد: كانت مراسيم الحداد تبدأ بعد موت الشخص وقد تستمر بضعة ايام^(٣١)، ويعم الحزن ابناء الميت واقرباءه والامم يعتصر نفوسهم والحسرة تملأ صدورهم وكانت طريقة اعلان الحداد بخلق الشعر او تركه ينمو طويلاً والنوم على القير في العراء وعدم لبس الزينة ولبس ملابس رثة وقديمة وكذلك يفرك الجسم بالفحم او الطين^(٣٢)، وينشرون الطين على رؤوسهم طيلة ايام الحداد ويرتدون ثياب خاصة بهذه المناسبة وكان الحداد عاملاً في تخفيف الحزن على اهل الميت ويضمن عدم انقطاع ذكر الميت مما يوحي بالطمأنينة للفرد ازاء الموت كما ان المعتقد السائد عند سكان

العراق القديم ان دموع وبكاء الاحياء يمكن ان تعطي للموتى بعض الراحة^(٣٣) ، ولذا فان الابناء ملزمون بالبكاء على ابائهم بعد موتهم^(٣٤) ، ونلاحظ ذلك في مراثية سومرية تتحدث عن ابن قد قتل ابيه في احد المعارك وبعد وصول الخبر اليه والذي كان مسافرا في مكان بعيد قام الابن بارتداء ملابس خاصة بالحداد والبكاء على ابيه والقاء نفسه بالوحل كتعبير عن حزنه وألمه على فراق ابيه:

"... لقد مات العلامة في ((نفر)) (من جروح اصابته) في هجوم ؟

وصل (نبأ) هذا الامر الى ابنه وهو على سفر بعيد

وكابن لم يفصل (؟) عن ابيه ،

لم يرجع (؟) الرداء (؟) الذي ارسل (.) اليه ،

لقد ذرف الابن الدموع ، وألقى بنفسه في الرغام وأنشد من اجله ((ترتيلة شعر))^(٣٥) .

كما كان يتم توجيه دعوى الى سكان المنطقة او سكان المناطق المجاور ليشاركوا في مراسيم الحداد ونجد هذا خلال مراسيم الحداد التي اقامها الملك نابونئيد على روح والدته (اددكوبي) فبعد موتها تم القيام بجمع سكان بابل وسكان المقاطعات البعيدة ليشاركوا بمراسيم الحداد وقام الناس بالنواح ونثر التراب فوق رؤوسهم وظلوا سبعة ايام من الحزن ومطاطئي الرؤوس وبملابس بسيطة غير مزركشة^(٣٦) .

ج - تقديم القرابين والنذور: كانت نظرة سكان العراق القدامى سوداوية وقائمة للحياة مابعد الموت او في العالم الاسفل اذ عدوا ان الحياة هناك لا تختلف عن الحياة الدنيا بل قد تكون اسوء بكثير فهم يقضون وجودا متناقلا في موضع مظلم^(٣٧) ففي اسطورة نزول الالهة عشتار الى العالم الاسفل نستطيع تصور المعاناة والعذاب لسكان العالم الاسفل: "ان طعامهم هو من الطين وان غذاءهم هو التراب، لا يرون النور ابدأ فهم يسكنون في الليل..."^(٣٨).

وكان الموتى لا يتحملون وزر خطاياهم معهم الى العالم السفلي بل ابنائهم هم من يتحمل ذلك ولم يكن وجودهم هناك يتأثر بما اقترفوه في حياتهم وانما بحسب مكانتهم في عالم الاحياء وبما يقدمه ابناؤهم واسرته من القرابين والنذور^(٣٩) ، وللدافع الديني أثر كبير في انجاب الابناء فكثرة الابناء في الحياة الدنيا كان يعني حسب المعتقدات العراقية القديمة ضمان مكانة مرموقة في العالم الاسفل بعد الممات^(٤٠) ولذلك فان درجة ارتياح روح الميت كانت تزداد بازدياد عدد ابنائه ويظهر هذا الاعتقاد واضحا في ملحمة انكيديو وكلكامش والعالم السفلي:

"هل رايت الذي لم يكن له ولد ؟ اجل لقد رايت...(النص مخروم)

هل رايت ، الذي كان له ولد واحد ؟ اجل رايت ، انه ممد اسفل الجدار ويبكي بمرارة

وهل رايت الذي كان له ولدان ؟ اجل رايت ، انه يقيم في بناء من الاجر وياكل الخبز

هل رايت الذي كان له ثلاثة اولاد ؟ اجل رايت انه يشرب الماء من قربة ماء((العمق))

وهل رايت الذي كان له اربعة اولاد ؟ اجل رايتوهو مسرور القلب

هل رايت الذي كان له خمسة اولاد ؟ اجل رايت ، لقد كان مبسوط اليد مثل كاتب طيب ويسمح له بدخول القصر"^(٤١).

ولقد كانت القرابين الغذائية المقدمة لأرواح الموتى في قبورهم تتكون من مختلف اصناف الاطعمة من اللحوم المسمنة مثل لحوم الغزلان والاعنام والماعز والاسماك والخنازير^(٤٢) ، وهذه الشعائر الجنائزية تهدف بالدرجة الاساس الى ارضاء الالهة في العالم الاسفل ورضى الالهة يعني انها سوف تحسن معاملة روح الميت^(٤٣) ، واذا لم يتم تقديم قرابين الشراب والطعام فان روح الميت سوف تخرج الى عالم الاحياء وتاكل بقايا الفضلات ونلاحظ هذا من خلال ملحمة انكيديو وكلكامش والعالم السفلي:

"...ذاك الذي، لاتجد روحه من يقدم عنها القربان

هل رأيته ؟ نعم رأيته، انه ياكل فضلات الطعام ونفايات الصحن التي نلقيها في الشارع..."^(٤٤).

د - زيارة القبر واداء التراتيل وسكب الماء: بعد دفن الميت يقوم ابناؤه ما بين فترة وأخرى بزيارة القبر وقراءة بعض التراتيل على روحه وفي احيان اخرى كانوا يقومون بتكليف بعض الاشخاص والكهنة الموكل اليهم اداء تلك الشعائر^(٤٥)، حيث يقومون بقراءة التراتيل وتلاوة التعاويذ التي تعمل على اراحة روح الميت في العالم الاسفل كما كان هناك كهنة خاصون يقومون بمهام أداء خدمات لذوي الميت وذلك بقراءة التراتيل والندب ورثاء الأموات^(٤٦)، وكان يعتقد ان تكريم الموتى وقراءة المراثي لأرواحهم من قبل اسرهم أو التواصل معهم كان من شأنه ان يعود بالراحة على أرواح الموتى، وكان الموتى في العالم الأسفل يسقون مياهاً باردة من رقاق الماء وتلك تكون مسؤولية الابن الأكبر الذي من الواجب عليه وبين فترة وأخرى بسكب الماء على قبر ابيه^(٤٧)، كما كان واجب على الأبناء الباقين اثناء زيارة القبر أن يقوموا بسكب الماء على قبر ابيهم وتتم عملية سكب الماء للميت عن طريق انابيب فخارية تنزل من سطح الارض الى داخل القبر^(٤٨)، ولأهمية سكب الماء فقد ورد في احد التعاويذ شخص يتضرع الى أرواح الموتى جاء فيها:

"ياارواح عانلتي، ياارواح امي وابي وأجدادي واخي واختي وكل اقرباني،

طالما انت مستقرة في العالم الأسفل كنت اقدم اليك القربان الجنازية واسكب لك الماء...."^(٤٩).

ويوجد نص اخر فيه اشارة الى اهمية تقديم الماء المسكوب لأرواح الموتى عن طريق دعاء:

" في العلى عسى ان يطيب اسمه وفي العالم الاسفل عسى ان تشرب روحه الماء الزكي"^(٥٠).

٢- الواجبات الاقتصادية: ومن اهم الواجبات الاقتصادية المفروضة على الابناء تجاه ابائهم:

أ - مساعدة ابائهم والعمل معهم بالمهنة او الحرفة نفسها: كان للجانب الاقتصادي أثر كبير في ترغيب الأسر بالإكثار من انجاب الابناء و لاسيما الأسر الفقيرة وغير المتمكنة مادياً، لما للولاد من اهمية اقتصادية كبيرة في ادارة وتمشية بعض شؤونها الى جانب الاباء^(٥١)، والأسر الفقيرة تقوم بارسال ابنائها في سن مبكرة للمساعدة وكسب سبل العيش وكان الاولاد خاصة الذكور يشكلون عوناً لهم ويوفرون دخلاً مالياً مهما ويتم تشغيلهم والانتفاع من اعمالهم في مختلف المجالات كالزراعة والتجارة والصناعة اذ باستطاعة الابناء ان يوفروا دخلاً مالياً مهما لأسرهم اذ جاء في نص مسماري "ان الاب يجمع الفضة من عمل اولاده"^(٥٢)، فكثرة الابناء تجعل الجميع يتعاونون على زيادة موارد العائلة وتحسين حالتها المعيشية كما ان الاستهلاك الكبير يكون مضراً لها حيث يذكر المثل ما نصه: "عندما تضاف يد على يد فان بيت الانسان يبنى، واذا اضيف فم الى فم فان بيت الانسان يحطم"^(٥٣).

وان جميع افراد العائلة خاضعون لسيطرة الاب الذي هو المسيطر والمتحكم بمصير اسرته وكل ذريته تحت امرته^(٥٤)، واذا مارس احدهم عملاً فلا بد ان تودع واراداته لدى الاب الذي هو مسؤول عن الانفاق على العائلة وهذا مايفسر لنا سبب الزام الاب بدفع مهر الزواج لأبنائه^(٥٥).

وكذلك للوالد حق الافادة من عمل اولاده ونشاطهم اذا كانوا يسكنون معه في البيت نفسه او في بيت اخر^(٥٦)، وغالباً ما كان الابناء الصغار يصاحبون آبائهم وامهاتهم الى اماكن العمل اذ توجد هناك الكثير من النصوص تذكر مصاحبة النساء لابنائهن في العمل والاستفادة منهم اقتصادياً، فقد ذكر نص من مدينة لكش^(٥٧)، بان بعض هؤلاء الابناء كانوا يتقاضون اجوراً جراء خدماتهم في ورش العمل وتذكر كمية عشر (كغم) من الشعير مدفوعة اجرا لكل منهم^(٥٨)، ويحق لأم الابناء الذين يعملون معها في المجموعة ان تحصل على اجرتهم^(٥٩)، وكما جاء في قائمة تحتوي على اسماء عمال يبلغ عددهم اربعة وعشرين عاملاً هم وابنائهم يعملون بصفة متواصلة طيلة ايام السنة تحت اشراف احد

المراقبين^(٦٠). وقد حرص حرفيو العراق القديم على اعداد ابنائهم وتدريبهم على حرفهم كل حسب تخصصه أو صناعته ، وذلك بتمرين الصبي على العمل من اجل ان يكون مؤهلاً للحرفة وبعد ذلك يكون قادراً على ان يخلّف اباه في الحرفة التي تعلمها بعد ان يبلغ اباه سن الشيخوخة^(٦١)، كما ان البنات كان واجبهن مساعدة امهاتهن في ادارة اعمال المنزل مثل طبخ الطعام وغسل الملابس وتنظيف البيت وغزل الصوف وغيرها^(٦٢). ب - ضمان تسديد ديون ابائهم ورفع الرهن عنهم : بسبب الحالة المعيشية الصعبة فقد يضطر الاباء والامهات الى بيع او رهن اولادهم عند صاحب الدين في حال عدم استطاعتهم من تسديده^(٦٣) ، اذ يذكر المثل "يحصل القوي على عيشه بقوة ساعده ولكن الضعيف يبيع اولاده"^(٦٤)، ورهن الابناء من اجل تسديد الديون التي بذمتهم كان معروفاً اذ كان يتم عقد اتفاق بين الأب والمدين فيما اذا عجز من تسديد الدين المترتب عليه في الموعد المحدد عندها يقوم بتقديم احد ابنائه رهينة والذي يقوم بالعمل عند الدائن حتى يتم تسديد الدين كاملاً حيث ورد في نص سومري ان امرأة قد "استدانت ١٠ سبلا (من الحبوب) مقابل رهن اطفالها"^(٦٥). اما في ما يخص بيع الابناء فيوجد في نص عقد ان والدين وقعا في ضائقة مالية مما اضطرهم الى بيع ابنهما الى تاجر مقابل سعر بخس اذ جاء في نص العقد:

" اشترى بلمونمشة من الاب بوزور- نوموشدا والام تريتوم

ابنهما سن - ماجير بسعر ١/٣ مينة فضة بالتام والكمال"^(٦٦).

كما ذكر نص من العصر البابلي الحديث ان ولداً بقي لمدة عشر سنوات في خدمة كاهنتين وفاء للدين الذي بذمه والده^(٦٧)، ومن الامثلة التي تدل على مدى بر الابن لابييه والتضحية من اجله واخراجه من الرهن واعطائه الحرية فقد جاء نص من العصر البابلي اذ قام ببيع نفسه الى الكاهن الاعظم "ينوم" enum priest معطي تبريراً لعمله هذا انه عاجز عن تسديد سبعة عشر شيقلاً من الفضة كان استدانتها لتحرير والده^(٦٨) ، كما ان الظروف المالية الصعبة التي يمر بها الاباء من فقر وحاجة وكذلك تراكم الديون عليهم كانوا يضطرون الى تزويج بناتهم في سن مبكر سعياً للحصول على مهورهن ويقوم الاب بأخذ مهر زواج ابنته مقدماً ليتمكن من خلاله من تسديد الديون التي بذمتها وتبقى الفتاة في بيت ابيها الى ان تصل سن البلوغ ومن ثم تذهب الى بيت زوجها^(٦٩).

ثالثاً- الشرائع العراقية القديمة واهتمامها ببر الوالدين ومقوقهما:

١- الابناء من صلب ابيهم: اهتمت الشرائع العراقية القديمة بتنظيم الحياة الاسرية وافردت نصوص ومواد قانونية نظمت فيها العلاقة ما بين الاباء وابنائهم وبينت لكل منهم حقوقه وواجباته تجاه الآخر وفرضت على الطرفين ضرورة الالتزام بها وتنفيذ قراراتها التي خصصتها في المواد القانونية في الشرائع التي أصدرتها والمشرعون العراقيون القدامى كانوا يعدون الالهة مصدرراً لهذه التشريعات والواقع انها بلغت من الكمال حداً نستطيع القول انها لم تكن من صنع الالهة كما يدعون وانما كانت نتيجة ابداع ، وجهد ، وتفكير يستحق كل الاعجاب والتقدير^(٧٠)، وكان احترام الأبوين وطاعتها من اهم الواجبات المترتبة على الابناء تجاه آبائهم وهذا الاحترام والتوقير لم يكن مجرد واجب أخلاقي وحسب بل كان يعد واجب قانوني مفروضاً عليهم^(٧١) وكان على الابناء حب الأبوين واحترامهما وطاعتها ومساعدتهما في اعمالهما وكذلك كان عليهم رعايتهما عند الكبر والعجز والقيام بتقديم الاضاحي عند وفاتهما^(٧٢) ، كما ان ملوك العراق القديم كانت لهم مساهمات واهتمامات بتوضيح العلاقة ما بين الاباء وابنائهم وتنشيط ذلك في نصوص المواد القانونية التي احتوتها شرائعهم التي أصدروها حيث جاء في مقدمة شريعة لبت عشتار " وبتوجيه جيد تركت الوالد يساعد اولاده وجعلت الابناء يساعدون ابائهم وتركوا الاباء لا يتخلون عن ابنائهم وجعلت الابناء لا يتخلون عن ابائهم"^(٧٣)، ومثلما فرضت

الشرائع حقوق والتزامات للأبناء على آباءهم فرضت واجبات والتزامات على الآباء تجاه آباءهم والزمتمهم بالاحترام والطاعة وتنفيذ أوامرهم وعدم عصيانها وحرمت على الآباء أي إساءة أو اعتداء باللفظ أو بالفعل وفي حالة حدوث ذلك فقد أصدرت أحكاماً قضائية رادعة وقاسية بحقهم إيماناً منها على إرساء المبادئ والقيم الأخلاقية في المجتمع العراقي القديم ، وحتى في حالة وفاة الأب فقد ألزم الآباء بتنفيذ وصيته وبدون أي مماطلة كما جاء في نص مادة: "إذا أهدى والد ولده المفضل أثناء حياته (أي قبل أن يتوفى الأب) هدية وختم له عقد بذلك ، فيحق للورثة اقتسام عقار أبيهم بعد وفاته فقط ، ولا يحق لهم مشاركته في الهدية التي سبق له أن منحها إياه، وعليهم أن لا يطبخوا ؟ كلمة أبيهم بالماء (أي عليهم أن ينفذوا وصية أبيهم)"^(٧٤) ، نلاحظ من خلال هذه المادة أن الأب قد خصص هدية لابنه المفضل الذي ربما يكون هو أقرب أبناءه إلى قلبه وأبرهم إليه واستطاع أن يكون محل احترام وتقدير أبيه من خلال إطاعة أبويه والاهتمام بهم وعدم إثارة غضبهم، لذا فقد خصه الأب بهدية من دون بقية إخوته الآخرين ، كما أن المشرع كان حريصاً على تنفيذ وصية الأب وحدد لكل فرد في العائلة حصته التي من ضمنها حصة الأم والزم بقية الإخوة بالالتزام بوصية أبيهم بعد وفاته، وعلى الرغم من أن تلك المادة لم تشر إلى أن الولد المفضل هو الابن الأكبر إلا أن جميع الشواهد التاريخية تشير بوضوح إلى شيوع عادة تفضيل الابن الأكبر في كثير من شؤون العائلة، بسبب أنه الأكبر سناً والارشاد عقلاً وتصرفاً، وبما أنه بموقع المسؤولية فهذا يعني أنه يحتاج إلى أموال أكثر من غيره ليستطيع تدبير شؤون العائلة والاجتماعية، لذلك يخصه الأب بحصة أكثر من باقي الورثة^(٧٥).

وعدت الشرائع العراقية القديمة إن رابطة الأمومة رابطة مقدسة وفرضت على الآباء احترام وتبجيل أمهاتهم وحرمت الاتصال بالأم وعدت ذلك عملاً شاذاً ويتناقض مع الطبيعة الإنسانية والمعتقدات الأخلاقية^(٧٦)، لذا فرضت عقوبة قاسية ورادعة على الابن والأم في حال حدث اتصال بينهما إذ جاء في نص مادة: "إذا نام رجل بعد (وفاة) والده في حضن أمه ، فعليهم أن يحرقوا كليهما"^(٧٧)، ونلاحظ أن هذه المادة ألزمت الابن والأم احترام رابطة الأمومة وفرضت على كلا الطرفين عقوبة الحرق بالنار جزاء لفعلتهم الشنيعة، وكذلك كان الهدف من هذه العقوبة أن يكونوا عبرة لغيرهم من أجل المحافظة على القيم والمبادئ الأخلاقية ، التي كانت سائدة في المجتمع العراقي القديم. كما حرم المشرع اتصال الأب بابنته وفي حالة وقوع ذلك فإن الأب سوف يطرد من المدينة وهذا يعني فقدان لعائلته ولكل ممتلكاته وحقوقه ومنها حق المواطنة^(٧٨)، كما حرمت الشرائع على الابن الاتصال بمربيته التي انجبت أولاداً من أبيه وكما جاء في نص المادة: "إذا قبض على رجل بعد (وفاة) والده في حضن مربيته، الوالدة أولاداً ، فيجب طرد هذا الرجل من بيت أبيه " ^(٧٩)، نلاحظ من هذه المادة أن المشرع حرم على الابن الاتصال بمربيته التي انجبت أخواناً له من أبيه والتي هي بمثابة أمه وعدت هذا الابن عاق لأبيه حتى بعد وفاته لأن الوفاء للأب لا يقتصر على مدة حياته بل يمتد إلى ما بعد وفاته أيضاً . لذا حكم المشرع على الابن بالطرد هنا يعني أنه لا يرث شيئاً من تركة أبيه^(٨٠) لأنه ارتكب فعلاً محرماً وبسبب ذلك قد فقد جميع حقوقه في مال أبيه وأصبح متشرداً جزاء لفعلته الشنيعة .

وفي حالة أن الأب قرر أن يحرم أحد أبنائه من الإرث بعد مماته بسبب عقوق هذا الابن أو لسبب آخر فإن القضاء يتدخل إذ جاء في نص مادة: "إذا قرر رجل أن يحرم ابنه من الإرث ، وقال للقضاء ((أريد أن أحرم ابني من الإرث))، فعلى القضاء أن يدرسوا (سلوكه)، فإذا لم يقترف الابن أثماً كبيراً يستوجب حرمانه من الإرث، فلا (يحق) للوالد حرمانه ابنه من الإرث "^(٨١) أن ذهب الأب إلى القضاء وأعلنه لهم عن رغبته بحرمان ابنه من الإرث من المؤكد أن هناك سبباً ودافعاً قوياً جعل الأب يتخذ هذا القرار فقد يكون ارتكب فعلاً وتصرفاً شنيعاً أو أنه كان متمرداً على تعاليم وأوامر أبيه مما جعل الأب يقرر حرمانه من الإرث، حيث أن حجب الإرث عن أحد الأبناء يمثل من أشد العقوبات

التي يفرضها الاب على الابناء العاقين لذلك لن يكون القرار اعتباطا او يتخذ بسهولة او في ساعة غضب او بتأثير من احد الزوجات ضد ابناء الزوجة الثانية لذا يجب اخذ الاسباب الموجبة امام المحكمة لإصدار قرار بحرمان الابن من التركة^(٨٢)، وعلى الرغم من سلطة الاب الواسعة على ابنائه الا ان المشرع قد قيد هذه السلطة فيما يخص حرمان الابن من ارث ابيه حيث ان قرار حرمان الابن من قبل ابيه ليس له اثر مالم يتم اصفاء الصفة القانونية^(٨٣)، وكانت المحكمة تطلب من الوالد ان يصفح عن ابنه اذا كان ارتكابه للذنب الذي اوجب حرمانه من الارث لأول مرة^(٨٤)، واذا ما تكرر الفعل الاثيم من قبل الابن فعندها يكون الحق للاب بحرمان ابنه من الارث حيث جاء ذلك في نص مادة: "اذا اقترف (الابن) اثما كبيرا يستوجب حرمانه من الارث، عليهم ان يعفوا عنه لأول مرة ، واذا اقترف اثما كبيرا للمرة الثانية، يحق للوالد حرمان ابنه من الارث"^(٨٥)، ان رغبة المشرع على حل هذا الاشكال لقضية حرمان الابن من الارث ربما يكون لاحلال السلم وان عدم اعطاء الارث قد يكون سبب للمشاكل والخلاف بين ابناء العائلة على تركه ابيهم بعد وفاته، وكذلك حرمت الشرائع العراقية القديمة الابناء بالتعرض الى امهم والاساءة اليها بعد وفاة الاب من اجل اخراجها من البيت وفرضت عقوبات عليهم من قبل القضاء حيث جاء في نص مادة: "اذا لم يعطها زوجها (اثناء حياته) هبة، فعليهم ان يعوضوها هديتها (التي جلبتها من بيت ابيها)، ولها ان تأخذ حصة مثل واحد من الورثة من اموال بيت زوجها، فاذا اساء ابنها معاملتها لاجل اخراجها من البيت، فعلى القضاء ان يستقصوا (قضيته) ويصدروا عقوبة على الابناء، وهذه المرأة لاتخرج من بيت زوجها، (اما) اذا قررت تلك المرأة الخروج (من بيت زوجها) ، فعليها ان تترك الهبة التي منحها زوجها لها لابنائها ، ولها ان تأخذ هدية بيت ابيها ، ولها ان تختار الزوج الذي (يناسب) رغبتها"^(٨٦)، وبعد وفاة الاب قد تحدث مشاكل واختلافات ما بين الورثة بسبب تركه الاب المتوفي لذا اخذ المشرع هذا الامر بالحسبان وبين الحقوق القانونية للأم ولأبنائها، كي لا يدع مجال لحدوث مشاكل فيما بينهما كما حرص المشرع على حماية الأم وضمان حقوقها المالية ، واذا ما حاول الابناء الاساءة لها من اجل اخراجها من البيت والاستيلاء عليه اذ خول المشرع القضاء ان يستقصوا عن قضيتها وعن معاملة ابنائها لها واذا ما ثبت ان الابناء كانوا عاقين لأهمهم واساءوا معاملتها فانهم سوف يكونوا تحت طائلة العقوبات القانونية، وكذلك حرمت الشرائع العراقية تجاوز الابناء على ابايهم والاعتداء عليهم بالضرب وفرضت عقوبات قاسية عليهم حيث ان يد الابن التي تمتد بالضرب على ابيه سوف تقطع وحسب ما جاء في نص مادة: "اذا ضرب ابن ابيه ، فعليهم ان يقطعوا يده"^(٨٧) .

٢- **الابناء من التبني:** ان التبني للأبناء من التقاليد القانونية المقبولة والشائعة في العراق القديم اذ بعد حاجة اجتماعية شرعية تقتضيها مصلحة الناس^(٨٨) ، وكان التبني يعني ايجاد البنية بين رجل او امرأة، من ولد أو بنت ويتم ذلك من خلال عقد قانوني يدون فيه اتفاق الطرفين على العلاقة الجديدة حيث يدون في شروط العقد حقوق وواجبات الطرفين^(٨٩)، ويتعهد الاب المتبني بمعاملة الابن المتبني كأبن طبيعي ويستحق الارث والحقوق الاخرى بعد وفاة ابيه المتبني^(٩٠)، وفرض القانون على المتبني الالتزام بكل فروض الابوة اللازمة والعناية بمتبنيه واعالته في شيخوخته واذا ما صدر عنه مايسيء الى والده المتبني او اذا انكر ابوته فإنه يستحق العقوبة التي يقرها القانون^(٩١)، ومن أهم الأسباب الرئيسية التي تدفع الأشخاص لتبني أبناء هي لتوفير أبناء لمن لا يستطيع الانجاب وايضا لتوفير الايدي العاملة والتي هم بحاجة اليها خاصة عند الاسر الفقيرة^(٩٢)، وكذلك يتم تبني الابناء لأسباب دينية فكما ذكرنا سابقا كانت للطقوس الدينية اهمية كبيرة فكان للأبناء دوراً في اجراء هذه المراسيم والطقوس بعد الوفاة اما الاشخاص الذين لم ينجبوا ابناء فانهم يلجؤون لتبني الاولاد لأداء هذه الطقوس الدينية وتقديمهم للقرابين بعد وفاتهم حيث جاء في احد عقود التبني يذكر فيه "في حياتي سوف تطعميني وعندما اموت تقومين بأداء الطقوس الجنائزية لي"^(٩٣).

وفي حالة تبني ابن وبعدها رفض المتبنى ان يعترف بوالديه الذين تبنياه وكان والد ووالدة المتبنى موظفين فان عقوبة قطع لسانه الذي تكلم به بكلمات بذينة مجحفة بحق والديه الذين ربياه^(٩٤)، حيث جاء ذلك في نص المادة: "اذا قال ابن تابع القصر أو ابن حريم القصر (المتبنى) لابييه الذي رباه أو أمه التي ربته: "أنت لست والدي أو انت لست والدتي"، عليهم أن يقطعوا لسانه"^(٩٥)، فضلاً الى عقوبة قطع اللسان كانت هناك عقوبة حلق رأس الابن العاق وبيعه كعبد في السوق فقد جاء في نص عقد تبني من العهد البابلي القديم يذكر فيه: "طفلة صغيرة تدعى (ا) وتبناها (ش) و(ص) زوجته من امها (ن) (في المستقبل) اذا قالت (ا) الى (ش) اباه (ص) امها (انت لست ابي)" (انت لست امي فسيحلقونها ويبيعوها). (واذا) قال (ش) ابوها و(ص) امها الى (ا) ابنتهما "انت لست ابنتنا" فسيخسرون البيت وبنوتها. وكل من يطالب ب (أ) سيدفع "منا" من الفضة"^(٩٦). اما اذا قام الابن المتبنى بكره امه وابيه واساء معاملتهم ورجع الى بيت ابيه الاصلي فان عقوبة قلع العين تكون جزاء لفعلته هذه وكما جاء في نص المادة: "اذا وجد (اكتشف) ابن تابع القصر أو ابن حريم القصر (المتبنى) بيت ابيه (الاصلي) ، وكره الوالد الذي رباه (تبناه) والام التي ربته (تبنته) وذهب الى بيت أبيه (الاصلي) ، فعليهم أن يقتلوا عينه"^(٩٧)، كما ونجد في نصوص اخرى انه اذا قال الابن المتبنى لمربيه الذي أنشاه، واحسن تربيته " انت لست والدي" فيحلق رأسه و يوصم بعلامة العبيد ويبيع في سوق النخاسة اما اذا لم يعترف بأمه التي تبنته وقال لها "انت لست والدتي" فيحلق نصف رأسه ويطاف به في الشوارع ثم يطرد من بيت والديه المربين^(٩٨).

رابعاً- بر الوالدين وعقوبتهما في ادب العراق القديم

كان الادب في العراق القديم يشكل مظهراً ذا اهمية مميزة ضمن مظاهر تلك الحضارة العريقة اذ تعد النصوص المسمارية الادبية على جانب كبير من الاهمية ، كونها كانت مرآة صادقة تعكس الكثير من الاعراف والتقاليد والقيم الاخلاقية التي كانت سائدة في المجتمع العراقي القديم^(٩٩)، ولقد وصلت الآداب في العراق القديم في بعض نواحيها الى درجة عالية من الإبداع الإنساني^(١٠٠)، اذ عبرت عن الأحوال الاجتماعية الموجودة في المجتمع العراقي القديم بشكل واضح، فكانت الطاعة في مجتمع العراق القديم هي الفضيلة الكبرى والدولة مبنية على الطاعة والخضوع للسلطة فلا عجب ان نرى ان الحياة الفاضلة في ارض الرافدين كانت هي الحياة المطيعة واقرب هذه السلطات كانت تتمثل بأفراد أسرته حيث ابيه وامه واخيه الاكبر واخوته الكبرى اذ نلاحظ ذلك من خلال النشيد التالي^(١٠١).

"يوم يحجم المرء عن السفاهة ازاء غيره، ويكرم الابن اباه،

يوم يبين الاحترام جلياً في البلاد ، ويبجل صغير القدر الكبير،

يوم يحترم (؟) الاخ الصغير....اخاه الكبير ،

ويرشد الولد الاكبر الاصغر ويتمسك (الاخير) بقراراته"^(١٠٢).

وقد كان على الابناء لزاماً الانصات الى نصائح وتعاليم ابائهم حيث نلاحظ ذلك من خلال وصايا اب الى ابنه "يابني اني اقدم لك هذا التعليم فتقبل تعليمي ، يازيوسيدرا اعر اذانا صاغية للكلام الذي ارجب في اعطائه لك ، لاتهمل تعليمي ، لاتخالف الكلام الذي اقدمه لك"^(١٠٣)، كما نجد ان الاعراف والقيم الاخلاقية كانت تحت الابناء على ضرورة التمسك بتقاليد العائلة واهمية استجابتهم لنصائح ابائهم وطرق تربيتهم "اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض"^(١٠٤) ، وتعد طاعة الوالدين اعلى مراتب الفضيلة ، لذا فقد حضيت الام بمنزلة سامية ومكانة رفيعة واعتبروا طاعتها بمثابة امر الهي يجب تنفيذه "اطع كلام امك كانه امر الهي"^(١٠٥). كما حث احد الحكماء الابناء ان يدخلوا السعادة في قلوب امهاتهم "ارض بنصيبك واجعل امك سعيدة"^(١٠٦). ونجد في اسطورة اينانا والثور الوحشي وكيف كانت انانا تخشى ان تغضب امها "ما هذا ايها الثور الوحشي علي ان اعود للبيت فخل سبيلي ماذا عساي ان اقول لامي. باي

عذر ساعتر لامي نكال" (١٠٧)، كذلك يوجد نص أدبي عبارة عن رسالة موجهة من شخص إلى أمه وفيها يقدم بعض أوصاف أمه للشخص الذي يحمل الرسالة ويعدد من خلالها الصفات والسمات الجميلة لأمه حتى يستطيع حامل الرسالة التعرف عليها من خلالها ويسلمها رسالة ابنها والتي يذكر فيها: "امي مثل الضوء الساطع في الأفق، انها كائن الضبي في الجبال ، انها كنجم الصباح الذي يسطع حتى في الظهيرة، انها كالذهب والفضة ان امي كامطار السماء ، المياه التي تؤدي الى نمو افضل للبذور، أن امي كحديقة من السرور، مليئة بالسعادة، ان امي كشجرة النخيل المحملة بطيب الاثمار" (١٠٨).

اذ نلاحظ من خلال هذه الاوصاف التي يقوم الابن بوصفها بطريقة شعرية رائعة مدى تعلقه بأمه وبره واحترامه الكبير لها اذ ينسب لها كل ما هو جميل في الطبيعة كما كان لعقود والدين نصيبا في ادب العراق القديم حيث نجد ذلك من خلال النصوص الأدبية والتي تناولت هذا الموضوع بكثير من الذم والازدراء وعدت ذلك من المعيبات ولا يمت للتقاليد والمثل الاخلاقية العراقية القديمة وهذه الافعال كانت منبوذة ومستهجنة في المجتمع الذي كانت فيه الفضيلة هي السمة الغالبة فيه ونلاحظ ذلك من خلال النصوص الأدبية والحكم والأمثال: "عامل الهه بعدم احترام، واهمل الهه...اهمل والده ووالدته عامل اخته الكبرى بعدم احترام ..."(١٠٩).

وكان اهتمام الام بتربية ابنائها قد احتل موقع الصدارة بتركيبة المجتمع الصالح لهذا نجد ان العتب واللوم يلقيان على الولد العاق بشكل دعاء "الطفل العاق ، ليت امه لم تلده وليت ربه لم يخلقه" (١١٠)، وفي حكمة تحت الابناء بعدم جلب لعنة ابائهم عليهم " يا بني، لاتجلب عليك لعنة ابيك وامك، لنأ تحرم الفرح بنعم بنيك" (١١١)، ونلاحظ من خلال هذه الحكمة ان الحكيم يحث بالابناء على بر ابائهم وطاعتهم وعدم جلب غضبهم ولعناتهم عليهم والا فان ابنائهم من صلبهم سوف يعاملونهم بمثل معاملتهم لأبائهم ، وتشير احد الحكم ان الشاب الصغير السن لا يقبل تأديب امه بسهولة بعكس الفتاة حيث تذكر: "الفتاة الثرثرة تستطيع امها اسكاتها والشاب الثرثار لا يستطيع امه من اسكاته بشكل طيب" (١١٢). وتروي بعض الامثلة ما تعانيه الام من ابنائها الى درجة العقوق وعدم الاهتمام باعالتها " الام التي تلد سبعة اطفال، تمدد في فقر" (١١٣)، فعلى الرغم من انجاب الام لهذا العدد الكبير من الابناء، فانهم لم يدفعوا عنها الفقر والحاجة واشارت احدى الحكم الى الابناء الذين يدمرون في ثورة غضبهم ممتلكات ابائهم دون اكتراث الى مغبة هذه الاعمال وانها تعود عليهم بالنهاية بالضرر حيث ذكر "يدمر الابناء في غضبهم ممتلكات ابائهم ان كمن يضرب انفه نكاية في وجهه" (١١٤).

ومن النواعيات العاقبة الابناء المسرفين الذين يصبحون مصدرا للحزن والتعاسة لابائهم "بزواجي من امرأة مبذرة، وانجابي ابنا مسرفا، يصبح الحزن ذخيري" (١١٥).

ومن ابلغ القصص التي تناولت عقوق الابناء تجاه ابائهم في الادب العراقي القديم قصة احيقار الحكيم حيث قام بتبني ابن اخته (نادن) وجعله ولدا له وقدم اليه الحكمة والتربية الصالحة غير ان الربيب كان عاقا لابييه "وما انقطعت عن تعليم ابني حتى اشبعته حكمة كما لو انني كنت اشبعه خبزا وماء. هكذا كنت اعلمه" (١١٦)، وذكر احيقار الحكيم قصة عقوق ابنه نادن حيث يقول: " انا احيقار كاتب الملك سنحاريب وحامل اختامه تبنيت (نادن) ابن اختي وعلمته الحكمة وتدبير الملك ليخلفني في خدمة اسرحدون بعد موت ابيه سنحاريب ولكن ابني نادن قال في نفسه: ساشي به عند اسرحدون وسأقول له ان احيقار افسد الملك والرعية . عندما سمع اسرحدون قول نادن ارسل وراء (نابوسو مسكن) وقال له فتش عن احيقار واقتله... " (١١٧). واراد احيقار من ابنه المتبني ان يكون عوناً له لكن الابن كان عاقا وكاد ان يتسبب بمقتله حيث يذكر "انك يابني، اكدت صدق المثل القائل :إبنك هو الذي ولدته أنت، وابنك الذي اشتريته

سمه عبدك^(١٨)، وهنا يجد احيقار ان التبني لايجدي نفعا انما الابن الحقيقي هو الذي من صلبه والآخر فهو اقرب للعبد منه للابن.

الاستنتاجات:

١. اتسمت تربية الأبناء في العراق القديم بكثير من العطف والحب والحنان الذي كان يظهره الأبوين لأبنائهم في المجتمع العراقي القديم .
٢. كانت منزلة الوالدين تأتي بعد منزلة الالهة وطاعتها تعد واجب مقدس .
٣. ان رعاية الاباء والاهتمام بهم عندما يتقدم بهم العمر وإقامة الشعائر الجنائزية بعد وفاتهم من أهم الأسباب التي كانت تدفعهم الى التبني .
٤. ان كثرة الأبناء بالنسبة للأباء له فائدة اقتصادية ومعنوية في حياتهم وفائدة دينية بعد وفاتهم من خلال أداء الشعائر الجنائزية .
٥. ان الشرائع العراقية القديمة أوجبت احترام وطاعة الوالدين في حياتهما وكذلك أوجبت احترام وصيتهما بعد وفاتهما .
٦. ان الأبناء ملزمين باحترام وطاعة ابائهم قانونياً ومهما كانت النتائج المترتبة على تلك الطاعة كبيعهم او رهنهم من قبل ابائهم .
٧. كان المجتمع العراقي القديم مبني على أسس احترام المبادئ الاجتماعية والقيم الأخلاقية لذا فان المشرع منع كل ما يمكن ان يمس هذه الصفات الحسنة مثل تجاوز الابناء على ابائهم او استغلال الاباء لابنائهم .
٨. حرمت الشرائع العراقية اي اعتداء او اساءة للأبناء بحق أبائهم بالقول او بالفعل .
٩. نظرا لأهمية الأسرة في المجتمع العراقي القديم والسعي في الحفاظ عليها فان المشرع تدخل حتى في القضايا العائلية الخاصة كحرمان احد الابناء من الإرث او تفضيل احد الابناء على بقية اخوته .
١٠. أجمعت النصوص الأدبية العراقية القديمة على ضرورة بر الابناء لابائهم واحترامهم وطاعتهم من خلال الأساطير والحكم والأمثال الأدبية .
١١. كان الأدب العراقي القديم ينظر لعقوق الوالدين بازدراء ويعدده من المعيبات التي لا تليق بالأبناء .

الهوامش والمصادر

١. صلاح سلمان رميض ، ادب الحكمة في وادي الرافدين ، مراجعة فاضل عبد الواحد ، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، (بغداد ، ٢٠٠٠)، ص٢٣٤.
٢. حسين ظاهر حمود، مكانة الاولاد في المجتمع العراقي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩١) ص ١٠٠ .
٣. انيس فريخة ، احيقار حكيم من الشرق الادنى القديم ، (بيروت ، ١٩٦٢)، ص٧٣.
٤. صموئيل نوح كريم ، السومريون تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة فيصل الوائلي ، (الكويت ، ١٩٧٣) ، ص٣٥٠.
٥. عبد الهادي الفوايدي ، بحث في الامثال العراقية ، مجلة سومر، مجلد ٢٩، ١٩٧٣، ص٩٠.
٦. صلاح سلمان رميض ، ادب الحكمة ، ص١٠٤.
٧. لقاء جليل عيسى ، نظام الارث ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٢)، ص٦٦.
٨. توركليد جاكيسون وآخرون، ما قبل الفلسفة –الانسان في مغامرته الفكرية الاولى، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٢، (بيروت ، ١٩٨٠)، ص٢٤٢.

٩. نابونائيد: آخر ملوك بابل (٥٣٩-٥٥٦ ق. م) وهو ابن احد كاهنات معبد الاله سين وقد جاءت به احد العشائر الى الحكم نتيجة الصراع الدائر ما بين رجال الدين ينظر: جان دي شايي - ريموند بلوش ، دليل حضارات الشرق الأدنى القديم ، ترجمة سهى محمد حسن ، دار الجواهري للنشر ، ط١، (دمشق ، ٢٠١٣) ، ص٢٥١.
١٠. جورج بوييه شمار ، المسؤولية الجزائية في الاداب الاشورية والبابلية ، ترجمة سليم الصويص ، دار الرشيد ، (بغداد، ١٩٨١) ، ص٢٣٤.
١١. عبد الرضا الطعان ، الفكر السياسي في العراق القديم ، (بغداد ، ١٩٨١) ، ص١٧٧ .
١٢. المصدر نفسه والصفحة نفسها .
١٣. بهيجة خليل اسماعيل ، "الكتابة" ، حضارة العراق ، ج١، (بغداد ، ١٩٨٥) ، ص٢٢١.
١٤. طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٧٦) ، ص١٦٠.
١٥. صلاح سلمان رميض ، ادب الحكمة ، ص٩٧.
١٦. هاري ساكز ، الحياة اليومية في العراق القديم ، (بلاد بابل واشور) ترجمة كاظم سعد الدين ، (بغداد ، ٢٠٠٠) ، ص١١٦.
١٧. صموئيل نوح كريم ، السومريون ، ص٣٤٩.
١٨. المصدر نفسه ، ص٣٥٠.
١٩. فاضل عبد الواحد علي ، من الواح سومر الى التوراة ، ط١، (بغداد ، ١٩٨٩) ، ص٣٧٤.
٢٠. فاضل عبد الواحد علي ، سومر اسطورة وملحمة ، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ٢٠٠٠) ، ص٢٧٠.
٢١. فون زودن ، مدخل الى حضارات الشرق القديم ، ترجمة فاروق اسماعيل ، (دمشق ، ٢٠٠٣) ، ص٢٢٠.
٢٢. نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة ، ط٢، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص٩٣.
٢٣. دانيال دي بوتس ، حضارة وادي الرافدين الاسس المادية ، ط١، ترجمة كاظم سعد الدين ، (بغداد ، ٢٠٠٦) ، ص٣٢١.
٢٤. نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص٢٨٢.
٢٥. جورج كونتينيو ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، ترجمة ، سليم طه التكريتي ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص٤٩٣.
٢٦. Bayliss, Miranda: The cult of Dead kin Assyria and Babyionia, Iraq , vol.35, 1973, p116.
٢٧. حكمت بشير الاسود ، ادب الرثاء في بلاد الرافدين ، ط١، دمشق ، ٢٠٠٨ ، ص ١٧٤-١٧٥ .
٢٨. هاري ساكز ، الحياة اليومية ، ص٣١٠.
٢٩. فراس السواح ، مدخل الى نصوص الشرق القديم ، منشورات دار علاء الدين ، ط١، (دمشق، ٢٠٠٦) ، ص٢١٦.
٣٠. جان بوتيرو ، ديانة البابليين ، ترجمة وليد الجادر ، مركز الانماء الحضاري ، (حلب ، ٢٠٠٥) ، ص١٣٠.
٣١. دانيال دي بوتس ، حضارة وادي الرافدين ، ص٣٢٢.
٣٢. حكمت بشير الاسود ، ادب الرثاء ، ص٢٢.
٣٣. نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص٣٠٠.
٣٤. فون زودن ، مدخل الى حضارات الشرق ، ص٢٢٠.
٣٥. كريم ، السومريون ، ص٣٠٠.
٣٦. حكمت بشير الاسود ، ادب الرثاء ، ص١٧٦.
٣٧. مرغريت روثن ، علوم البابليين ، ترجمة يوسف حبي ، دار الرشيد ، بغداد، ١٩٨٠ ، ص٥٣.
٣٨. جان بوتيرو ، ديانة البابليين ، ص١٣٠.
٣٩. نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص١٤٥.
٤٠. Bayliss, Miranda: The cult of Dead....op.cit.p.17.
٤١. فاضل عبد الواحد علي ، الادب ، حضارة العراق ، ج١، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٣٥٢ .
٤٢. دانيال دي بوتس ، حضارة وادي الرافدين ، ص٣٥٢-٣٢٦.
٤٣. نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص٢٧٥.
٤٤. جورج بوييه شمار ، المسؤولية الجزائية ، ص٢٣٢.
٤٥. نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص٢٨٣.
٤٦. المصدر نفسه ، ص٢٨٤.
٤٧. جفري بارندر ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة امام عبد الفتاح ، مطبعة مدبولي للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٩٩٦ ، ص٤٩.
٤٨. انطوان مورتكارت ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعريب توفيق سليمان ، ب ت ، ص٧٥ .
٤٩. نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص١٢٧.
٥٠. المصدر نفسه ، ص٢٧٩.
٥١. حسين ظاهر حمود ، مكانة الاولاد ، ص٣٣.
٥٢. احمد امين سليم ، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص٣٠٠.
٥٣. صلاح سلمان رميض ، ادب الحكمة ، ص١٠٥.

٥٤. عامر سليمان ، الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية ، المدينة والحياة المدنية ، ج ١ ، (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص ٢٠٠-١٩٨.
٥٥. لقاء جليل عيسى ، نظام الارث ، ص ٦٢.
٥٦. حسين ظاهر حمود ، مكانة الاولاد ، ص ٦٢.
٥٧. لكش: كانت من اشهر دول المدن التي قامت بدور بارز في تاريخ حضارة وادي الرافدين وتقع الان بالقرب من نهر الغراف مابين دجلة والفرات ينظر: طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط ١ ، دار الوراق للنشر ، (بيروت ، ٢٠٠٩) ، ص ٣٠٠.
٥٨. وليد الجادر ، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر (النساجون والنسيج) مطبعة الاديب البغدادية ، (بغداد ١٩٧٢) ، ص ٤٣.
٥٩. المصدر نفسه والصفحة نفسها.
٦٠. ستروف ، بعض المعلومات الجديدة عن تنظيم العمل والكيان الاجتماعي في سومر اثناء حكم سلالة اور الثالثة ، ترجمة سليم طه التكريتي ، العراق القديم ، (بغداد ، ١٩٧٦) ، ص ٢٠٤.
٦١. تلمستيان عقراوي ، المرأة ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ، دار الحرية ، (بغداد ، ١٩٧٨) ، ص ١١٩ .
٦٢. المصدر نفسه ، ص ١٥٨.
٦٣. Finkelstein ,J.J Ammisaduqa ,s Edict and The Babylonian Law Cods ,Jcs ,vol.15,1961,p.96.
٦٤. طه باقر ، مقدمة في ادب العراق ، ص ١٥٩.
٦٥. حسين ظاهر حمود ، مكانة الاولاد ، ص ١٦٣.
٦٦. هورست كلينكل ، حمورابي البابلي وعصره ، تعريب محمد وحيد خياطة ، ط ١ ، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر ، سوريا ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٣.
٦٧. ديلا بورت ، بلاد ما بين النهرين حضارة بابل واشور ، تعريب مارون خوري ، بيروت ، ب ت ، ص ٧٦.
٦٨. صالح حسين الرويح ، العبيد في العراق القديم ، (بغداد ، ١٩٧٦) ، ص ٥٥.
٦٩. حسين ظاهر حمود ، مكانة الاولاد ، ص ١٧٦-١٧٧.
٧٠. احمد امين سليم ، ، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ، ص ٣٢ .
٧١. رضا جواد الهاشمي ، القانون والاحوال الشخصية ، حضارة العراق ، ج ٢ ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، ص ٨٦ ؛ حسين ظاهر حمود ، مكانة الاولاد ، ص ١٦٠.
٧٢. المصدر نفسه ، ص ١٤٥.
٧٣. فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة ، ط ٣ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، ص ٥٨ .
٧٤. المادة (٣١) من قانون لبيت عشتار.
٧٥. رضا جواد الهاشمي ، نظام العائلة في العهد البابلي القديم ، (بغداد ، ١٩٧٠) ، ص ١٤٧-١٤٨.
٧٦. المصدر نفسه ، ص ١٣٩.
٧٧. المادة (١٥٧) من قانون حمورابي .
٧٨. رضا الهاشمي ، نظام العائلة ص ١٣٦.
٧٩. المادة (١٥٨) من قانون حمورابي.
٨٠. رضا الهاشمي ، القانون والاحوال الشخصية ، ص ١٠٢.
٨١. المادة (١٦٨) من قانون حمورابي.
٨٢. رضا الهاشمي ، القانون والاحوال الشخصية ، ص ١٠١.
٨٣. لقاء جليل عيسى ، نظام الارث ، ص ٧٣.
٨٤. رضا الهاشمي ، القانون والاحوال الشخصية ، ص ١٠٢.
٨٥. المادة (١٦٩) من قانون حمورابي.
٨٦. المادة (١٧٢) من قانون حمورابي.
٨٧. المادة (١٩٥) من قانون حمورابي.
٨٨. فاضل عبد الواحد وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ٧٤-٧٥.
٨٩. رضا الهاشمي ، نظام العائلة ، ص ١٧٦.
٩٠. حكمت بشير الاسود ، مبدأ التبني في العراق القديم ، مجلة سومر ، مجلد ٤٤ ، ١٩٨٥-١٩٨٦ ، ص ٧٧.
٩١. رضا الهاشمي ، نظام العائلة ، ص ١٨٢.
٩٢. عامر سليمان ، القانون في العراق القديم دراسة تاريخية قانونية مقارنة ، ط ٢ ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، ص ٢٩٦.
٩٣. Bayliss,Miranda,The cult of Dead....., op.cit .p.120.
٩٤. هورست كلينكل ، حمورابي ، ص ٢٢٨ .
٩٥. المادة (١٩٢) من قانون حمورابي.
٩٦. عامر سليمان ، القانون في العراق ، ص ١٢٥.

٩٧. المادة (١٩٣) من قانون حمورابي.
٩٨. فوزي رشيد ، الشرائع العراقية ، ص ١٧٥.
٩٩. فاضل عبد الواحد علي، الادب، ص ٣٢١.
١٠٠. احمد امين سليم ، دراسات في حضارة الشرق الادنى القديم العراق – ايران ، دار المعرفة الجامعية ، (الاسكندرية ، ١٩٩٢)، ص ٦١ .
١٠١. توركلويد جاكبسون وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٣٩.
١٠٢. المصدر نفسه ، ص ٢٣٩.
١٠٣. صمونيل نوح كريم، السومريون، ص ٣٢١.
١٠٤. غريغوس بولس بهنام ، احيقار الحكيم ، (بغداد ، ١٩٧٦)، ص ١٤٥.
١٠٥. هاري ساكز ، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، (الموصل ، ١٩٧٩)، ص ٤٨٥.
١٠٦. احمد امين سليم ، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ، ص ٣٢٧.
١٠٧. طه باقر، مقدمة في ادب العراق، ص ١٩٦.
١٠٨. احمد امين، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ، ص ص ٣٢٧-٣٢٨.
١٠٩. هاري ساكز ، عظمة بابل، ص ٣٥٧.
١١٠. صلاح سلمان رميض ، ادب الحكمة، ص ١٠٠.
١١١. سهيل قاشا ، حكمة احيقار واثرها في الكتاب المقدس ، دار المشرق ، ط ١، (بيروت ، ١٩٩٦)، ص ١٨.
١١٢. احمد امين، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ، ص ٣٠٨.
١١٣. المصدر نفسه ص ٣٢٨.
١١٤. المصدر نفسه ص ٣٠٧.
١١٥. تلمستيان عقراوي ، المرأة ومكانتها، ص ٤٧.
١١٦. انيس فريجة ، احيقار حكيم من الشرق ، ص ص ٦٧-٦٨.
١١٧. المصدر نفسه ، ص ٢٢.
١١٨. سهيل قاشا ، حكمة احيقار، ص ٣٣.